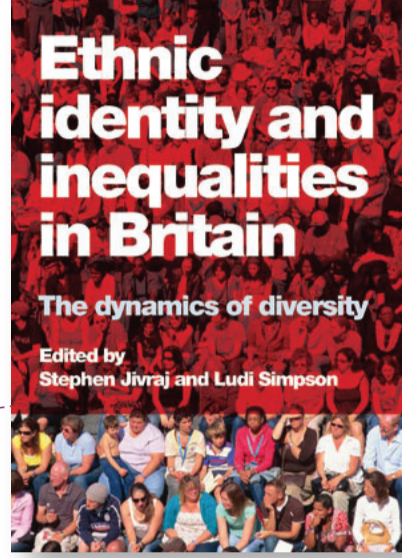


الهوية الإثنية والتفاوت الاجتماعي.. عنوانان بريطانيان

تتسم المملكة المتحدة البريطانية بقدر كبير من الخصائص قياساً بالبلدان الأوروبية الأخرى. في مقدمها تنوع الإثنيات والتفاوت الاجتماعي. ولعل ذلك هو الذي دفع البريطانيين إلى الإحساس بنوع من الغربة في إطار الاتحاد الأوروبي وكانت فكرة إجراء الاستفتاء على بقائهم فيه أو خروجهم منه - كانت الغلبة في الاستفتاء مؤخراً لأنصار الخروج من الإطار الأوروبي الموحد. وحول المسائل المتعلقة بالهوية وأبعادها الإثنية في بريطانيا يقدم عدد من الباحثين المتخصصين بالمسائل المعنية، والذين يعملون في إطار مركز «ديناميات الانتماء الإثني» مساهماتهم في كتاب جماعي. يشرف عليه ستيفن جيفرج ولود سامبسون، بعنوان: «الهوية الإثنية والتباين الاجتماعي في بريطانيا: ديناميات التنوع».

الإنجليزي الحقيقي

في المقدمة التي يحررها المشرّفان عن الكتاب تحت عنوان «دينامية التنوع»، يطرحان سؤالان: من هو الإنجليزي الحقيقي؟.. هل يعني أن يكون المرء إنجليزي الانتماء إلى إثنية؟ ويخطر المشرّفان القارئ منذ البداية، أنه ليس من السهل تقديم إجابات قاطعة في ظل واقع التنوع الإثني التي تتسم فيه البلاد وغير البعيد واقعيّاً عن الإرث الاستعماري، الإمبراطوري، ووفود أعداد كبيرة من الهنود والباكستانيين للإقامة في بريطانيا.



الصفحات:
250 صفحة



الكتاب:
الهوية الإثنية والتفاوت الاجتماعي في بريطانيا..
دينامية التنوع



الناشر:
بوليتي برس - 2015



القطع:
المتوسط

مكوّن مهم

من الملاحظات التي يؤكد عليها الكتاب أن «المجموعات الإثنية التي توصف بأنها تمثل أقليات في بريطانيا، لا تزال موجودة بكثافة في أماكن تجمّع تشكل فيها مكوّن هام من السكان». ونقرأ: «هناك اليوم - في بريطانيا - أماكن أكثر توجد فيها أعداد أكبر من الوجوه ذات البشرة غير البيضاء. ويفترض الناس أن ذلك يعني وجود قدر أكبر من التمييز، الأمر الذي لا تثبته الوقائع دائماً». وهذا ما يجري التعبير عنه بالجملة التالية «إن زيادة التنوع الإثني، لم ترافق بقدر أكبر من التمييز العنصري على مستوى الأحياء».



2011

تتطرق أبحاث الكتاب، وفي مختلف الحالات والجوانب التي تناولها، إلى مسائل «الهوية الإثنية» في بريطانيا وعلى رأسها تلك المتعلقة بـ «أشكال عدم المساواة ذات الطابع الإثني»، ثم تطرح للنقاش في المحصلة، الأبعاد «السياسية والإعلامية» المترتبة عليها، والتي كانت قد ساهمت في الواقع ببروزها. وهنا تجدر الإشارة أن مختلف المساهمات التي يضمها هذا الكتاب تعتمد في تحليلاتها على المعطيات المستقاة من نتائج عمليات إحصاء السكان الأخيرة الثلاث التي عرفتها بريطانيا في سنوات 1991 و 2001 و 2011.

مشكلة السكن المورّقة

وتنتهي المساهمات إلى التأكيد أيضاً أن هناك بوضوح «سياسات مستعمرة من التمييز في مجالات السكن والعمل والتربية والصحة تواجهها بعض المجموعات الإثنية». وما يجري التركيز عليه هو أن مشكلة «السكن»، وليس التمييز العنصري، هي التي تؤزّق، أكثر من المشاكل الأخرى، البريطانيين من الأقليات الإثنية. ويكتب ستيفن جيفرج ما مفاده بهذا الصدد: «استطاع البعض من الذين وصلوا منذ فترة طويلة شراء البيوت التي يقطنها بعد وصولهم بفترة قصيرة. لكن الأمر لم يعد هو نفسه اليوم، فأسعار المساكن زادت بنسبة خيالية خلال الثلاثين سنة المنصرمة». هذا في الوقت الذي تضاعف فيه عدد ما يسمى «المساكن الاجتماعية» بينما ازدادت صعوبة الحصول عليها».

أشكال التباين

القسم الثاني من الكتاب يحمل عنوان: «أشكال التباين - عدم المساواة - الإثني». وأسئلة مدخلاته هي التالية: هل تضال التمييز العنصري الإثني؟ ما هي المجموعات الإثنية ذات الصحة السيئة؟ ما هي المجموعات الإثنية التي تعاني أكثر من مشكلة السكن؟ هل تستمر أشكال التمييز الإثني في سوق العمل؟ وفي مجال التربية؟ وهل مآل الأقليات الإثنية هو العيش في الأحياء الفقيرة؟

الأسئلة التي تطرح في مختلف مساهمات هذا الكتاب هي بالوقت نفسه نوع من «الجرد» لمجموعة المشكلات الأساسية التي يطرحها واقع التنوع الإثني في بريطانيا، كما تدلّ بوضوح الإجابات المقدّمة عليها.

من هو؟

يستعرض الكتاب مسألة مهمة تتمثل في أنه لعلّ من السمات الأساسية للبريطانيين هو ذلك التنوع الكبير في المكونات الإثنية التي يتشكّل منها الشعب البريطاني. ذلك إلى درجة أن كثيرين من البريطانيين أنفسهم يطرحون على أنفسهم أسئلة حول «هويتهم». وليس أقل تلك الأسئلة إثارة للتشوش ذلك السؤال الذي مفاده: من هو الشعب البريطاني؟. أو بدقة أكبر: هل هو شعب بريطاني... أم إنجليزي؟

المشرّفان في سطور:

يحمل ستيفن جيفرج شهادة الدكتوراه في الفلسفة وهو أستاذ في جامعة مانشستر التي تخرّج منها. متخصص في مسائل الصحة العامة وأشكال التفاوت الاجتماعي. أما لود سامبسون فهو أستاذ الدراسات الديموغرافية في جامعة مانشستر. متخصص في القضايا المجتمعية في بريطانيا.



أقليات أكثر فقراً

تتمثل النتائج الأساسية التي تستنتج من عموم الدراسات في هذه القضايا، أنه من الشائع في السياق الحالي تكرار القول إن «التمييز على أساس الانتماء الإثني يتعاظم» ويتعاظم أيضاً عدد المجموعات التي تنتمي إلى أقليات بفعل الهجرة» و «هناك بالمحصلة أزمة هوية وطنية». لكن المساهمين في هذا الكتاب يفتقدون هذه النتائج مبينين أنها لا تتطابق دائماً مع معطيات الواقع القائم. كما يؤكدون إجمالاً أن «الأقليات الإثنية، وخاصة من الباكستانيين والبنغاليين، في عداد الأكثر فقراً في بريطانيا». والتأكيد أيضاً أن المعنيين بتقاضون «أقل الأجور». ويشير أكثر من مساهم أن مثل هذا الواقع يستمرّ غالباً رغم أن أبناء الأقليات الإثنية يتفوقون «من حيث التأهيل» في الكثير من الحالات على «معاصريهم من البيض».

معطيات إحصائية

تنوّع مواد - مساهمات هذا الكتاب، بين قسمين رئيسيين يحمل الأول منهما عنوان: «التنوع الإثني والهوية». ويضم ست مساهمات تحاول كل منها الإجابة على سؤال يتعلّق بموضوع البحث. وفي جميع الحالات يجري الاعتماد كثيراً في تحليلات هذا الكتاب على «المعطيات الإحصائية». وهكذا تجيب المساهمة الأولى على سؤال: كيف تعاطم التنوع الإثني؟. وتجب الثانية على سؤال: لماذا تعاطم التنوع الإثني؟. وتجب الأسئلة الأربعة الأخرى على: هل بريطانيا مكوّنة من مدن متنوّعة الإثنيات؟ من يحس أنه بريطاني؟ هل يغيّر البشر من انتمائهم الإثني مع مرور الزمن؟ وماذا يميّز التنوع الإثني في اسكتلندا؟

تأثير متبادل

إحدى الأفكار التي تتكرر في مساهمات هذا الكتاب مفادها أن «الهويات الإثنية» ليست ذات مدلول جامد ودائم. بل إنها تتغيّرت تبعاً لـ «التغير الاجتماعي». ذلك أن «العيش في مجالات متنوّعة، دفع مجموعات الأقليات إلى التأثر المتبادل فيما بينها وكذلك بالثقافة السائدة من أجل صياغة نوع من الهويات الجديدة».